

في هذا العدد

تزامنت الذكرى العاشرة لغياب الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات مع الحرب الوحشية التي شنتها الاحتلال الاسرائيلي على غزة، والتي دامت ٥١ يوماً.

جسد عرفات في قيادته للثورة الفلسطينية المشروع الوطني في التباساته وتعميداته، من الكفاح المسلح إلى اتفاق أوسلو، لكن الميزة الأساسية للقيادة العرفاتية أنها لم تتخل يوماً عن الكفاح بمختلف أشكاله، وأنها جسدت خيارين متناقضين ائتلفا في القيادة العرفاتية، لكنهما ما لبثا أن تباعدا بعد استشهاد عرفات بسبب الحصار الإسرائيلي. وما الانقسام الفلسطيني الذي جسده سلطتنا "فتح" في الضفة و"حماس" في غزة إلا التعبير الصارخ عن عدم قدرة القيادات الفلسطينية المتعددة على صوغ استراتيجية جديدة للمواجهة تأخذ في الاعتبار القرار الإسرائيلي بالتخلي عما سمي "عملية السلام"، عبر التغول الاستيطاني والقبضة العسكرية التي تمثلت في الاحتلال المباشر في الضفة الغربية، والاحتلال عبر الحصار الخانق في غزة، بحيث تحولت الأراضي الفلسطينية إلى مجموعة من الغيتوات.

هذا العدد من "مجلة الدراسات الفلسطينية" يضم محورين فقط: الأول: "غزة ٢٠١٤، انتصار الصمود"، وفيه مجموعة من المقالات والتقارير التي تقرأ تجربة الحرب في غزة، ومعاني انتصار الصمود الذي صنعه المقاومة، علاوة على حوارين: الأول مع الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي رمضان عبدالله شلح، الذي يقدم قراءة للحرب من منظور إحدى الفصائل الأساسية للمقاومة، والثاني مع الطبيب الفلسطيني غسان أبو ستّة، الذي ذهب إلى غزة وعمل في مستشفى الشفاء، وهو يقدم شهادة إنسانية سياسية للحرب الهمجية التي تعرض لها القطاع. أما الملف الثاني: "أسطورة ياسر عرفات"، فيتضمن شهادات عن التجربة الميدانية للزعيم الفلسطيني من خلال نصوص كتبها رفاقه في مراحل متعددة من تجربته كفائد وفدائي.

ويتكامل هذان المحوران ليؤشرا إلى ضرورتين:

أولاً، الوحدة الوطنية الفلسطينية وإنهاء الإنقسام، بصفتها المعبر الإجماعي إلى إعادة ترتيب البيت الفلسطيني.

ثانياً، بناء استراتيجية فلسطينية جديدة عمادها مقاومة الاحتلال بمختلف الأساليب الملائمة، وإعادة تظهير المسألة الفلسطينية بصفتها مسألة تحرر وطني، والخروج من الارتهاق لتسوية سياسية باتت من الماضي، وصارت قناعاً لتحويل الاحتلال إلى واقع دائم.

أعدت حرب غزة تذكير الجميع بأن الشعب الفلسطيني واحد وقضيته واحدة، وأن تقسيم الشعب بحسب مهمات افترض أنها مرحلية، لن يقود إلا إلى الخراب والتفكك.

الوحدة الفلسطينية المشتهة ليست عملية محاصصة أو تقاسم نفوذ، إنها وحدة يجب أن تستند إلى برنامج سياسي واضح، يعي أبعاد المواجهة الشاملة التي يخوضها الفلسطينيون مع احتلال عنصري يريد إبادتهم مجتمعياً وسياسياً من جهة، كما يعيد وضع القضية على خريطة الوعي الإنساني، باعتبارها قضية عادلة تستطيع أن تستقطب الرأي العام العربي

والعالمي من جهة ثانية.

المسألة الأساسية التي كشفتها حرب غزة هي أن هذه الحرب لم تكن حرباً ضد "حماس" أو "الجهاد" وغيرهما من فصائل المقاومة، وإنما كانت حرباً شاملة على الشعب الفلسطيني وعلى إرادته وقدرته على البقاء. الطائرات التي قصفت غزة كانت تمهد الأرض للمستوطنين في الضفة الغربية، وتسمح لأصوات العنصريين في أراضي ١٩٤٨ بأن تستعيد لغة القمع الذي يتعرض له "الغائبون / الحاضرون" في أرضهم، بحسب التعبير الإسرائيلي، وتريد زرع اليأس في فلسطيني الشتات الذين شعروا بعزلتهم، وسط هذا الخراب الشامل الذي يعيشه المشرق العربي.

وعلى الرغم من أن الإسرائيليين اقتنصوا الظرف الإقليمي والدولي، في حمى الحرب الكونية ضد الإرهاب، من أجل إشعار الفلسطينيين بأنهم وحدهم، فإن الصمود الفلسطيني الأسطوري نجح في قلب معادلة الرأي العام العالمي بحيث عادت فلسطين لتحتل مكانتها في قلب الضمير العالمي، بصفتها قضية حق وعدالة.

يحق للفلسطينيين أن يشعروا بالمرارة من محاولة النظام العربي والإقليمي التلاعب بألم غزة، عبر سياسة المحاور التي ضربت التضامن العربي وحولته إلى أشلاء. لكن هذه المرارة ستزداد عندما نكتشف أن ما تعانيه فلسطين اليوم على هذا الصعيد هو جزء من معاناة المشرق العربي مع التفكك وانهيار الحلم الديمقراطي الذي يحول بلاد العرب إلى فضاء يستبيحه طيران تحالف دولي غامض الملامح والأهداف، ويحول أرضهم إلى حقول للموت يتناوب على صنعها الاستبداد والتيارات التكفيرية.

من الموصل إلى الرقة، ومن كوباني إلى الرمادي، يواجه المشرق العربي خطر التفتت والانهايار والدخول في عصر الظلمات التي كان مؤشرها الأكثر وضوحاً هو حرف النون الذي بدلاً من أن يكون اسماً للإنسان صار وسيلة لقهره، كما حدث في الموصل، ثم امتد إلى كل مكان.

خيار الصمود والمقاومة سيكون مؤشراً إلى قدرة الفلسطينيين على تحويل انتصارهم في غزة إلى علامة ضوء في هذه العتمة العربية، وسيساهم في قدرة المنطقة على الخروج من كبوتها.

وفي النهاية، يحتل السيد هاني فحص ذاكرة العدد. فهذا المثقف والكاتب ورجل الدين المستنير، رفيق النضال الفلسطيني وأحد أعمدة الثقافة اللبنانية والعربية، يغيب اليوم ليترك فراغاً تملأه كلماته الأخيرة التي كتبها في هذا العدد تحية لرفيق نضاله ياسر عرفات.

هيئة التحرير